

أضواء البيان

@ 307 قوله تعالى : { جَعَلُوا أَمْصَابَهُمْ فِدَاءَ أَدَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا } . بين تعالى الغرض من جعل الأصابع في الآذان لعدم السماع ، كما في قوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ } وإصرارهم واستكبارهم إنما هو عن اتباع ما دعاهم إليه نوح عليه السلام . .

كما قالوا : { وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُدَادِي الرِّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَايُنَا مِنْ فَضْلٍ } ، وقريب منه قوله تعالى : { كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ } . قوله تعالى : { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زُنْهَ كَانَتْ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَايَكُمْ مُدْرَرًا } . رتب إرسال السماء عليهم مدراراً على استغفارهم ، وهذا يدل على أن الاستغفار والتوبة والعمل الصالح قد يكون سبباً في تيسير الرزق . .

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في الحديث : (من أراد أن ينسأ له في عمره ويوسع له في رزقه فليصل رحمه) . .

وقد تكلم الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه على هذه المسألة في سورة هود عند قوله تعالى : { وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا } . .

كما دلت الآية الأخرى في هذه السورة على أن المعصية سبب للهلاك في قوله : { مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا } . قوله تعالى : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فَرَرَّ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَاقَةً فَخَلَقْنَا الْعُلَاقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَّوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } . .

وهذا مروي معناه عن ابن عباس . قاله ابن كثير والقرطبي . .

وقيل أطواراً : شباباً وشيوخاً وضعفاء . .

وقيل أطواراً : أي أنواعاً صحيحاً وسقيماً وبصيراً ومريضاً وغنياً وفقيراً .